



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة الجامعة المستنصرية
كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

شروحُ حماسة أبي تمام في ضوء نظرية التلقي

أطروحة تقدّم بها الطالب

عبد الخالق حسن كاظم

إلى مجلس كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربيّة

وآدابها/أدب

بإشراف

الأستاذ الدكتور

خالد علي مصطفى

آيار ٢٠١٥ م

بغداد

رجب ١٤٣٦ هـ

المستخلص

أما متن البحث الخاص بالدراسة التطبيقية، فجاء على ثلاثة فصول، استعرض الأول منها قراءة المرزوقي للحماسة بشكل مختلف عما قرأه غيره فيها، فأنتج في ضوء قراءته لنصوص الحماسة متناً نقدياً مهماً ضمت تصوراتها عن الشعر ومفهومه، والأسس العامة لعمود الشعر الذي كان يمثل تصور المؤسسة الرسمية للنقد العربي قديماً، واشتراطاتها التي وضعتها للشعراء، وسنن القول الواجب اتباعها. فضلاً عن ذلك، فقد تناول البحث أهم مبنين من مباني المقدمة، وهما قضية الطبع والصنعة، أو الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، ليختم الفصل بالمبنى الثاني المتعلق بإشكالية الفصل بين الشعر والنثر، وفهم المرزوقي لها.

أما الفصل الثاني، فقد تطرق البحث فيه إلى أهم مكونات جهاز القراءة عند الشراح. ابتداءً مما أحاط بالنصوص من حوادث وأخبار، مروراً بالارتباك الذي دائماً ما يواجه المتصدي للشعر العربي، والذي يتمثل بتعدد روايات الشعر، وتعدد نسبه إلى أكثر من شاعر، وفي أحيانٍ بقاءه مجهول النسبة. وأخيراً تحصيل مقاصد الشعراء التي اختلف الشراح في طريقة تحصيلها، من مستعين بكل ما يتاح من عناصر داخل النص وخارجه، ومن آخر مكتفٍ بالجاهز من التوجيه اعتماداً على النص وحده.

في حين تناول الفصل الثالث مستويات القول الشعري، من إيقاع وتركيب ودلالة، والآفاق التي تشكلت في ضوء تلقي الشراح لها. وقد افضى هذا الفصل إلى معطى بارز، يتمثل في أن المرزوقي خالف، في مواضع كثيرة، اشتراطات العمود الشعري خلال شرحه للنصوص، وذلك بأن صمت عن الاعتراض على كثير من الدلالات البعيدة في التشبيه والاستعارة، بل انه كان يعلي من قيمتها، ويشيد بقائلها، وهو الذي طلب، ومن خلفه كل المؤمنين بنظرية العمود، قرب الاستعارات والتشبيهات؛ فجاءت قوة عناصر التخيل في الحماسة أعلى مما وضع من قوانين لها في مقدمة المرزوقي. وهو الهدف المركزي الذي من أجله وضع ابو تمام الاختيار، أي تضمن الشعر قديماً لبنيات استعارية، وحتى تشبيهية، فيها من الغرابة ما يمكن ان تعد خارجة عن الاصول والتقاليد القولية.

أما أبرز ما توصل إليه خوض غمار الشروح في هذا البحث فكان كما يأتي:

١ - لم يكن (اختيار ابي تمام) عملاً قائماً على جمع نصوص متناثرة في بطون الدواوين الشعرية، بل إنه كان في جوهره موقفاً نقدياً، سجل ابو تمام من خلاله اعتراضاته على الطعون التي وجهها الى مذهبه أنصار الخط النقدي المؤمن بعمود الشعر.

٢ - ولما كان أصل وضع الاختيار، هي هذه الفكرة التي اثبتها البحث (فكرة الموقف النقدي)، فإن استجابة الشراح لها، وردود افعالهم تجاهها لم تكن بمستوى التحدي التي مثلتها في حينها او في الزمن اللاحق لها، يُستثنى من هذا الامر المرزوقي، الذي يمكننا القول، باطمئنان، إن شرحه هو اكمل الشروح وأرفعها قيمة.

٣ - التقط المرزوقي ، على ما بدا وظهر في البحث، غاية ابي تمام من الاختيار، لذلك لم تكن وقفته النظرية التي تضمنتها مقدمته ،والتي فصل فيها تصوراته عن الشعر وعموده، والطبع والصنعة ، ومحاولة تبيان الحدود بين الشعر والنثر، اقول لم تكن هذه الوقفة سوى دليل على أن استجابته لنصوص الحماسة ، بمجملها بوصفها متنا كاملاً له غاية محددة، او بتفصيلاته في الشرح، كانت استجابة مختلفة ومغايرة، كشفت عن وعي نقدي متميز عنده.

٤- تعارض القراءات بين الشراح في الحماسة أو غيرها ، يمثل عنصر إغناء للنصوص وللمتلقي. لكن حين تتطابق القراءات اللاحقة مع القراءات السابقة ،ستفتقد هذه القراءات قيمتها الآنية والتاريخية . فشروح التبريزي وابن مرقد والفارسي تطابقت مع شرح المرزوقي وانخفضت عنه في مفاصل كثيرة، بل ان التبريزي وابن مرقد نسخا ما توصل إليه المرزوقي نسخاً مباشراً، لذلك لم تكن قيمة شرحيهما بقيمة شرحي ابن جني والشنتمري اللذين فارقا المرزوقي في محطات كثيرة ومهمة. فجاء الشرحان الأخيران ليضيفا فهماً وتأويلاً جديدين يحيلان الى غير المتوقع منهما.

٥ - في محطات كثيرة مرت بها عمليات شرح الشعر عند العرب، كانت هذه العمليات مجرد تمارين في اللغة غايتها كشف معاني المفردات، او اعادة نثر النصوص بما لايقدم إضافة نقدية أو يطرح اسئلة تخص واقع الشعر، أو ان تخلق مواجهةً جمالية بين النصوص المشروحة ومتلقيها.

٦ - إن عمليات الشرح التي مرت في البحث، لم تكن مؤسسة على غاية الكشف الاولي عن معاني نصوص الحماسة، وهذا طبعاً ليس شاملاً، بل إنه يخص المرزوقي في الدرجة الاولي، يتابعه ،بدرجات متفاوتة ،الشراح الآخرون. فالمرزوقي رسم خطأ للشروع بنمط قرائي مختلف ، مثلته مقدمته النقدية التي كانت تمثل أولى المواجهات الإبداعية مع متلقي شرحه.